

طبعة محدودة

سياسة امرأة

جميلة العلايلي

حقوق الطبع والنشر محفوظة



التركة الأدبية لجميلة العلايلي

www.gamilaelalaily.com

لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام استرجاع أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو عن طريق التصوير أو التسجيل أو غير ذلك دون إذن خطي مسبق من الناشر


أم كلثوم
جميلة العلايلي

عن جميلة العلايلي

جميلة العلايلي، ولدت في مدينة المنصورة على ضفاف النيل، حيث تشبعت روحها بعذوبة الماء وبهاء الطبيعة، نشأت في كنف عائلة متوسطة الحال، محافظة على التقاليد الأصيلة، إلا أن عقلها كان طليقًا منذ الطفولة، يتساءل ويتأمل، ويرفض القيود التي تفرضها الأعراف على المرأة.

بدأت تراسل مي، فتدور بينهما أحاديث ورسائل مليئة بالمعاني العميقة والأسئلة الإنسانية الكبرى، فتعلقت بها وتبنت روحها الفكرية، وتعلمت منها كيف يكون الأدب نافذة للحرية. كانت مي بمثابة المعلمة والملهمة التي أيقظت فيها شغف الكتابة.

في تلك الفترة، كانت هدى شعراوي، الزعيمة النسائية والمناصرة لقضايا المرأة، قد شقت طريقها كصوتٍ يدعو إلى تحرير المرأة في مصر، وإلى منحها حقوقها في العمل والمشاركة المجتمعية. وجدت جميلة في هدى مثالاً للمرأة المستنيرة المتمردة على القيود.

انضمت جميلة إلى جماعة "أبولو" الأدبية التي أسسها الشاعر أحمد زكي أبو شادي، فكانت من أوائل الشاعرات اللواتي انضممن إلى هذا الصرح الأدبي، الذي مثّل ثورةً في الشعر العربي، جامعًا شعراء الرومانسية ومتبنيّي الحداثة.

كانت جميلة، بفضل روحها المفعمة بالحرية، مؤسسةً للعديد من الجمعيات الثقافية والاجتماعية، فأسست "جامعة أدباء العروبة" بهدف دعم الأدباء الشباب ونشر نتاجهم الأدبي، وأسهمت في إنشاء "مجمع الأدب العربي" الذي أصبح منبرًا للإبداع الأدبي.

وفي ميدان الشعر، أصدرت جميلة ثلاثة دواوين شعرية تميزت كل منها بأسلوب مختلف. ديوانها الأول، "صدى أحلامي"، الذي صدر في عام ١٩٣٦، جاء حاملًا بين طياته مزيجًا من التأملات الرومانسية في الحب والجمال والحياة.

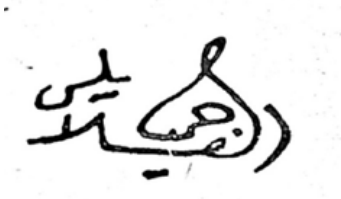
لم تقتصر إسهامات جميلة على الشعر فحسب، بل امتدت إلى الرواية، إذ كتبت عددًا من الروايات التي عبرت من خلالها عن قضايا اجتماعية وروحية. يمكن تصنيف رواياتها حسب الموضوعات التي تناولتها: فقد كتبت عن الروحانية والتصوف، والمرأة والمجتمع، والحب والطبيعة.

وفي مجال التأملات، ألفت جميلة كتبًا من نوع خاص، تمزج فيها بين السرد والروحانية، مثل "أنا وولدي" و"أرواح تتآلف"، حيث تتناول قضايا فلسفية وإنسانية، وتغوص في عمق النفس البشرية بحثًا عن المعاني الخالدة للوجود.

أما عن تأثيرها، فقد مثلت جميلة العلايلي أحد الأصوات الأدبية الرائدة في مصر والوطن العربي، إذ كانت من أوائل النساء اللواتي واجهن المجتمع بأدبهن، وحملت على عاتقها دورًا في تحرير صوت المرأة ودفعه ليصبح مؤثرًا في المشهد الثقافي.

وفي حياتها اللاحقة، اعتزلت جميلة الحياة العامة تدريجيًا، حيث انسحبت من المجتمع وانقطعت عن الحوارات الأدبية، واتجهت نحو التأمل والتصوف، حيث ركزت على الكتابة الروحية التي تهدف للارتقاء بالنفس وإيجاد السلام الداخلي.

في عام ١٩٩١، رحلت جميلة العلايلي عن الحياة، تاركةً وراءها إرثًا أدبيًا وروحانيًا عظيمًا، وما زالت أعمالها شاهدة على تجربة أدبية فريدة لامرأة امتلكت شجاعة الكلمة وصدق الروح، ليبقى صوتها في الأدب العربي خالدًا.



سياسة امرأة

جميلة العلايلي

الطبعة الأولى ١٩٤٣

سياسة امرأة

كان الرجل في سجنه تحت رحمة الله والإنسان ينتظر القضاء المجهول الثابت في علم الغيب المرسومة ظلاله على صفحة الأفق الإلهي...

ثم فتح الباب ودخل القدر يعلن حكمه فجمدت عين الرجل وسقط رأسه على يديه فوق المنضدة في شبه اغماء فكان سكون وكانت غيبوبة طويلة.

ليس الرجل جبانا فيفزع من حكم الاعدام انما احس الخسارة الفادحة وقد كان يأمل أن يعيش ما تبقى من حياته سعيدا.

غاب عن عالم الحس ليستجلي في الظلام أول السبيل على طريق العدم المحتوم.

وليس من السهل على المبصر الابصار في الظلام ولو خلق أعمى لاستعان على الرؤية باللمس والحس.

وليس من السهل أيضا استيضاح الغوامض في الاجواء المختلفة ولا استفسار الالفاظ لإدراك معانيها ما دام الموت قد دقت ساعته.

ولكن المحكوم عليه بالإعدام يتطلع في آخر لحظة من الحياة الى الجلاد والى حبل المشنقة.

يطبع على عينيه قبل الرحيل صورة القسوة منقولة عن وجه القاتل ويتصور حبل المشنقة المعبر الأخير من الحياة الى الموت...!

وليس في مقدور الميت ان يحب جلاده فلا يبتسم له بسمة الوداع انما ابتسامة الموت.

وكذلك ليس في طوقه أن يكره الجلاد لأنه يد القدر مصدر الحياة كما هو مصدر الموت.

أخيرا ظل الرجل يكرر في غيبوبة صيغة الحكم الصادر عليه ويتطلع الى صورة فتاته الذهنية ويتمثل ورق الكتاب وخط الكتاب.

ودق الباب وتكرر حتى زاد في عنف واذا بالطارق يوقظ الميت يسلمه رسالة من انسان ناعم الى حزين قانط.

وهذه البرقية من عظيم يملك الملايين الى فقير معدم لم يعد يملك حتى حياته.

ويأمر صاحب الرسالة بارسال بعض غزلان جميلة في القطار السريع داخل أقفاص خاصة واذا تعذر الامر فترسل في قطار خاص.

ويفهم أن مصدر هذا التعجل رغبة قوية تأمر في عنف صادر عن عاطفة مشبوبة قاهرة ويقول صاحب الامر انه يجب أن تصل الغزلان صباحا لتهدى مساء في حفلة خاصة لحسناء افتتن بها كما افتتن هو بفتاته وهنا تصور انه بعث الغزلان فورا واستقبلتها الحسناء كهدية في غفلة من الرغبة التي أمرت وعن الجهد الجبار الذى بذل - تقبلها بابتسامة هادئة تتبعها كلمة شكر خافتة، أما هو فلم يكن يملك سوى

روحه الحائر وقلبه المكلوم فعرضهما بدلا من هدية!... وفتاته لم تبتسم وانما أغمضت عينيها عن الروح وداست القلب المقروح

وشمله سكون طويل...

وانسرحت روحه فتطلع من نافذة السجن الى الفضاء والى النيل الوديع الهادىء يجري الى مستقره كما كان... والجزيرة قائمة باشجارها الظليلة الوارفة وغابات النخيل القائمة، والجبل الراصد يحدد الافق ويختم مشاهد الطبيعة في تلك الزاوية من صفحة الكون ولكن...

ولكن صفحة النيل فقدت الصفاء في عين الميت وانقلبت كدرة تحبس عن النظر جلال الاعماق وتصدر نقيق الضفادع

والجزيرة الحالمة المستسلمة للموج العابث لم تعد لها بهجة كما كانت...

وازدهار الارض البادى من بعيد يتراءى له كالارض الجرداء وقد وضحت أوراقها الجافة وحشرات النبات وقد رسمت في بصر الميت تلول الاحجار والرمال المحرقة ركاما من القسوة وتصور الوحشة فيها الافاعي تنساب!...

وتطلعت العينان الى الفضاء الواسع والى الاثير اللا محدود وكأنها تظهر للحى صورة فتانة واضحة باسمة في الاطار الروحاني...

أما اليوم فانه فقد كل شيء في ظلام اليأس وحبس الأفق الصورة المرسومة على صفحة خيال فؤاده وتعمق البصر في البحث ثم ارتد في يأس وفقد الميت قوة الجسم فأسند رأسه الى النافذة وسقط بصره

على الارض··· فرآها فجوة عميقة مظلمة بعيدة الظلام الى العدم التام - كالقبر تماما.

ودار السجين في الحجرة الواسعة دورة النشاط الزاخر ومن المحقق أنها سكرة الحياة تستقبل العدم. لذا تطلعت العين الى كل شيء تودع فيه الحياة وكل شيء هو صورة حبيبته وما بقى عنده من حنين وذكرى···

وقام الى مكتبه ليجمع رسائل فتاته ثم أوصى خادمه أن يسلمها اليها يدا بيد بعد أن يموت لتحرقها بيدها وهو يعتقد أنها نبيلة ستحترم وصية الميت وتنفذها وهذه الوريقات معدومة القيمة، ولكن فيها حياة كامنة من زفرات وآهات وهمسات وخفقات لم ترها عين غير عين الله ولم تسمعها أذن الا اذن الاله فهي في اعتباره لها قداسة ليس من الحكمة ان تبقى في يدى أي انسان حتى ولو كانت حبيبة قلبه، اذن فيجب ان تحرق بالنار فيكون في اللهب المشتعل آخر أثر من حياة رجل وأنفاسه.

انما كتاب الفتاة الاخير؟!···

هل يرد اليها بدون تفسير؟

لقد ضاع مصدر الوحى فامتنع الايحاء والوحى وقضى عليه بالموت!···

وهى ستبقى في الحياة ولكنها تجهل الحياة! فلماذا لا يفسر الميت العالم للحى الجاهل بعض معانى الحياة قبل أن يودع الحياة؟!···

تقول الفتاة في خطابها وتعنى اتهامه:

أنك تتخيل فتكتب وتحلم فتشعر وتحب لتتسلى

وهو يقسم أن كل كلمة اختارها في عباراته وكل معنى رسمه بالالفاظ صورة صادقة من فؤاده - لكن الفتاة تعتقد أن الرجل المتزوج لا يمكن أن يخلص في حبه لانه موزع الفكر والحس والخاطر فهو أما أن يكون قد تزوج عن حب فيكون لا مبدأ له ولا ثبات عنده وأما أن يكون زواجه عن طيش وغرض فيكون ضعيف الارادة يعيش تحت سلطة الاهواء، واذا سهل عليه خيانة امرأة ربطت الشريعة بينهما فما أيسر خيانة امرأة لا يخاف الله فيها!

ويسكن الرجل السجين مفكرا في هذه الهواجس التي نوهت عنها الفتاة؟!...

ثم تنتابه ثورة عاطفية فيصرخ من أعماقه بغير صوت:

أيها الاله، أنت وحدك المطلع على خفايا الضمائر وأسرار الصدور واتجاه العاطفة ووثبة الروح فاذا جهلت فتاتى المصدر الذي صدرت عنه عاطفتي فلأنها قاصرة النظر الفكرى قليلة الايمان بالثقة الاكيدة ولها العذر لأن علاقات الناس القائمة مشوهة افسدت حقائق الوجود وحطمت بنيان العاطفة الصريحة السليمة..

يا اله السماء...

بجرة قلم تمحو الفتاة من عالم الوجود ما عرفت الروح من آلام وبهجات وما احتملت من انفعالات وما صعدت من زفرات...

ولكن أليست الفتاة بشرية، تذبح الحيوان لتأكله وتدوس النملة ولا تشعر بآلامها وتجنى الزهرة لتطرحها بعد لحظة عند مواطئ الاقدام...؟

فليس من العجيب أن تذبح فتاتي الرجل كما تفعل بالحيوان وتدوسه كما تدوس النملة ثم تطرحه كما تطرح الزهرة ولا عجب فى ذلك لانها بشرية تحس بالطبيعة... انها امرأة تملك الرجل على الرغم من ايمانه بانه مالكها وتشعر شعور المرأة فتشك وتتردد وتخاف وتنكص.

يا الله... لقد ظنها اسمى من امرأة، لذا رسم عواطفه وأشجانه وآماله في غير حذر وصور كل ما جاش فى صدره بمداد من عصارة فؤاده وروحه.

فهل تدرى انها كأنثى ذرة ضائعة بين الذرات لا تحمل على البحث عنها بالتطلع اليها ولكن ولعه ينصب على ناحيتها الروحية وحدها... ولو فكرت لأدركت أن ولع روحه بروحها كان على مثال ولع روح الجنس كله بروح الجنس كله أنما فى تحديد...

ظنت الفتاة انه يحبها ليلهو بها شأن كل رجل في ذلك العصر الموبوء وظنته أخا حب وقتى ولدته الرغبة الطارئة ثم لا يلبث ان يزول وظنته غادرا لأنه غدر بزوجته الأولى لذا ترفض في كبرياء أن تقبله زوجا وتأبى أن تبادله حبا وهو يدافع عن نفسه ويؤكد لها انه تزوج المرأة الأولى مرغما تحت تأثير الحاح اهله.

وهى تحتج بعنف على ادعائه وتقول:

ما ذنب المسكينة اذن؟ ألا يمكن ان يروضها على طباعه وميوله ثم ألا يحتمل أن يكون حبه لهذه الفتاة وثبة طيش لا تلبث حتى تزول؟... وماذا يكون مصيرها إذا أقامت سعادتها على عاتق امرأة أخرى بريئة كل ذنبها أن الرجل لم يفهمها وتزوجها مرغما كما يقول؟

وتصورت الفتاة مصير المرأة المؤلم وشقاءها المنتظر وتخيلت هواجس روحها المكلومة وصراخ قلبها المظلوم واستطاعت أن تتغلغل في أعماقها متخيلة نفسها مكانها فهالها الحقد الذى ينتظرها والكراهية والاحتقار اللذان يتأهبان لملاقاتها في كل بيت اذا دخلته وكل طريق تمشى فيه... هذه فلانة التى أخذت فلانا زوج فلانة...!

لن يقولوا... أحبها فتزوجها... بل سيقولون أحبته فاغتصبته لان المرأة هى المظلومة أبدا مهما تكن بريئة وهى محور الاشاعات حتى ولو كانت بعيدة.

لذا حاولت جهدها أن تصارحه بما يجول في ذهنها وأن تصلح بينه وبين زوجه وراحت تنصحه بترويضها لتكون له كما يريد أن تكون ونزولا على ارادتها تكلف الطاعة ثم صارحها بعد مدة بأنه فشل تماما وأكد لها انه لا يمكن مطلقا اصلاحها لشراسة أصيلة فى طبعها وجمود ثابت في حسها.

واستسلمت الفتاة لخواطرها يدنيها القلب الحساس الرحيم كلما أشعرها بعذابه وما يعانيه من ألم مبرح ويقصيها عنه العقل الحكيم المتزن كلما تصورت عذاب المرأة البريئة.

وهى بين هذين الاحساسين مترددة حائرة قلقة تلين آنا وتتردد أحيانا...

أنه يضع حياته بين يديها، وزوجته حياتها بين يديه

أما هي... فحياتها بين يدى القدر

فما عساها تفعل؟ لشد ما هى حائرة

قد تعمد زوجه على الانتقام منها لاعتقادها انها هى التي أفسدت عليها حياتها وسلبت منها قلب زوجها واغتصبته كرها بل مجرد تصور ذلك يجعل حياتها محنة لا تطاق...

ولو رفضته، سيحزن ثم يتأسى ثم ينسى وقد تبدو له زوجته بعد هذا الرفض فى اطار من الروعة يجذب قلبه إليها اذن، فيجب ان ترفض يده ولو كان فى ذلك عذاب قلبها الذى يحبه لتسعد براحة الضمير...!

كان ذلك حالها بينما لم يمر ذلك بخاطر الرجل الذى كان يشعر أن رفضها كحكم الإعدام تماما... انما عنيت بالورق الذى كتبت عليه الحكم فاختارته ناعما يغرى على التطلع اليه وعنيت بصيغة الحكم فوضعتها رقيقة بليغة فتقول:

> من أجل سعادتك وهنائك وراحة ضميرك أرفض يدك لن أزف اليك وحدى... سيحوط بى القلق والألم والمرارة وستجد الخيال البديع الذى رسمته بعواطفك طوال عام... مخيفا مروعا يبعث الأسى واليأس والعذاب...

انى أرفض يدك لأكفل لك سعادة دائمة محققة على مر الأيام فإن كنت تحبنى حقا فأعرض عنى ولا تتزوجنى لأعيش براحة ضميرى وهدوء نفس راضية.

والله أرجوه أن يهيء لك من زوجك جنة تحبوك بالراحة والرعاية والحب والحنان.

فإذا كان حبك طاهرا أكيدا فخير لك أن تعيش بأحلامه وحده بدل أن يتحطم قلبك على صخرة الرغبة الطارئة وحسبك...

... ...

لم يكد يقرأ ذلك حتى أحس أن صاعقة تنزلت عليه لكنه ابتسم فى مرارة وغمغم مخاطبا نفسه:

يا للشيطان، أى حكم حمله الى على لسان ملاكى، وهل أملك أن أحصل منها الا على الحب البرىء فى حدود الطهارة، وهل تخطيت هذا الواجب الى أبعد من آفاقه؟!...

وهل كنت أطمع منها إلا فى قلبها... وا أسفاه!

لقد نظرت الى الشعلة المقدسة فى حبى بعين امرأة عادية وظنتها وثبة الشهوة للجسد وللشهوة ألف متاع أظهر منها اذا وجدت الشهوة فلتطمئن ملاكى!

لقد أضلتها الفطنة عن الحقيقة وسار بها الحذر إلى أقصى حدود الاستهانة بالرجولة، ثم الى الاستخفاف بانسان يحب بروحه في حدود الروحانية، ويريد أن يصون هذا الحب من أعاصير الحياة الباطلة...

فيضم كيانها الى كيانه فى كنف الزوجية

وقام الرجل فى هدوء متمشيا فى الغرفة مخاطبا نفسه بصوت خفيض تمتزج به حرارة وجدانه متخيلا صورتها الجميلة الساحرة قبالته:

يا ملاكى...

أحببتك فى تقديس وفكرت فيك فى طهارة ولطالما قلت لك مناجاتى طاهرة كماء الوضوء مقدسة كالصلاة فلم تفهميني؟!

ثم اتجه مسرعا صوب فراشه وأخرج من تحت الوسادة آخر رسائلها فمر عليها بعينين دامعتين ثم رماها على الفراش وهو يدمدم:

لم تكتب فتاتى حكم الاعدام عبثا، بل عمدا بعد تأمل طويل وتفكير...

فلتكن مشيئتها إذن!

وحسبى أن قلبى عرف المسرة بسببها برهة قصيرة ولأتقبل الحكم الصادر على فى سكون واستسلام وأقدم نفسى لجلادى غير مكتوف بل فى طاعة وخشوع واجلال

وعاد إلى المقعد مرتميا عليه فى شبه اعياء ثم تناول القيثار فى كآبة وراح يتأملها فى التياع وهو يقول:

عنك صدرت أنغام فؤادى المبتهج وبك أسمعت فتاتى أنات قلبى الممزق...

وعليك كنت أعزف موسيقى الروح الحائر ومنك استلهمت أناشيد البلبل الصداح الشاعر ولكن شاءت الاقدار أن يكون لحنك ترتيلة الموت المرتقب...

ثم بكى كالطفل وحطم القيثار فى عصبية ظاهرة كأن الوعى خانه... وطرحه بعيدا وقد بدا أمامه صورة مهلهلة للفتاة.

ووثب الرجل الى ناحية المنضدة ولف على عنقه حبل المشنقة، ثم تذكر رسوله الذى بعثه إليها برسالة يستودعها فيها آخر ما بقى عنده من رجاء وحب ويتوسل اليها أن تزور قبره وقد أرسل اليها خاتمه وأوراقه الخاصة وساعته.

وظل ممسكا الحبل مترقبا دقات الساعة التى حددها منتظرا عودة الرسول وقد كاد صبره ينفد واليأس يتراءى أمامه كشبح مخيف يلوح له بشارة الحداد.

وفجأة فتح الباب ودخلت الفتاة...

فتطلع اليها فى هدوء وخشوع قائلا:

نفذى

فمدت يدها وأنقذت عنقه ثم كانت دمعة فابتسامة فقال الرجل وهو راكع تحت قدميها مقبلا يدها وقد بللها بالدموع:

لم أنقذتني؟ وسعادتي في الموت...

فنظرت اليه الفتاة في هدوء قائلة:

رأيت فى طريقي صبيا يلقى حجرا فى النهر فسقط الحجر وغاص وضاع ثم دارت على سطح الماء دوائر مائية اتسعت قليلا... قليلا حتى ضاعت على صفحات الماء الجاري، ووثب الصبي يجرى ليبحث عن حجر آخر...

فقاطعها...

كان هذا مصيري... أضيع وراء العدم بينما أنت تبحثين عن رجل آخر

فقالت بصوت خفيض:

صعب على أن تضيع جثتك لأردك إلى الحياة

قال وهو يقبل طرف ثوبها:

شكرا، شكرا وحمدا لله الذى لم يكتب بظلال الدوائر المائية على صفحة اللجة شماتة العدم بالوجود

حقا، كل موجود الى عدم، وكل حى إلى زوال... لكن ما أتعس من يختطفه العدل من بين ذراعى الوجود قبل أن

ينال حظه المرغوب...

ثم انتفض فى انتعاش واقترب منها قائلا:

كنت فى شك من تلقى حكم البراءة منك وكأن النسيم حمل بشير هذا الحكم قبل مجيئك فأجمنى وقيد يدى مع أن الساعة كانت قد دقت دقات التنفيذ...

سبقتك أنفاسك الى فبعث الأمل فى صدرى... فآه من هذه الأنفاس!...

هى الشعلة التى أرسلتها الى حاملة المشعل

هى الحرارة التى هدأت جأشى وحركت قلبى

هى العاطفة التى تسربت الى فؤادى فى لطف وحنان

هى همسات الهوى فى أذن الواجد

هى دلائل العطف تفيض بها رحمة الخالق

هى معناك يشيع من عند الله

لقد طلبت الموت تحقيقا لمشيئتك

وهأنذا أعود للحياة تحقيقا لرغبتك

اذن فلتكن ارادتك

وسكت طويلا وهو يتأملها بعينين دامعتين ثم قال بصوت مرتجف النبرات:

هو الذى هو الذى يحيى ويميت فهل منحك الاله قدرة من عنده فأحييت ثم أمت وأخيرا بعثت الميت الى الحياة!

ولكن لم حكمت على بالإعدام وجرمى أننى أحبك فى جنون

قالت فى هدوء لطيف:

شئت أن أقتل حبيبي، إذ لا يمكن أن أكون له لأحتفظ بأخى، فقد يمكن أن أكون أختا له!

قال:

وهل تظنين ذلك ممكنا؟!

قالت:

بالتأكيد!

قال:

لو فرضنا أن كرامة الحبيب آثرت الاعتزاز بعاطفته أيمكن أن يقنع بأخوة لا تمنحه إلا القليل من عطفك وهو يطمع فى كل ما يشمله قلبك من حب وحنان؟

فأطرقت مليا لتخفى اضطرام عواطفها ثم قالت:

ما ابتعدت عنك إلا رحمة بل ولم أصدك الا خوفا عليك

قال...

انى أعرف قلبك... أعرفه رحيما مؤمنا وهو يربأ بك أن تكونى ظالمة قاتلة...

فقاطعته فى ثورة:

زوجك... زوجك... لا أنكر أن روحك تماثل روحى، ولكن هناك حاجزا لا يمكن اجتيازه... أن ضميري يلازمها فكيف أعيش معك بدون ضمير... ذلك فوق طاقتى...

فقاطعها:

ليست قوى العالمين بقادرة على الحيلولة بيننا

قالت فى بطء واتزان:

عيبك قيادة عاطفتك لعقلك

امرأة واحدة تحول بيننا...

ونظرت بعيدا كأنها تستسلم هذه المرأة... وأردفت:

أما أن أقتل نفسى لأحيي امرأة أستمد من حياتها قوة تعيننى على تحمل آلام الحب أن تمكن من قلبى ذلك الحب حقا!

وأما أن أقتل هذه المرأة لأحيي امرأة بغير ضمير منبوذة من نفسها، مكروهة من غيرها، وأنا لست من الجهالة أو الأنانية بمكان حتى أضحى بغيرى فى سبيل حياة يمكن تكييفها على صورة أخرى ترضينى وتسعدنى بقدر على الأقل

ولو كان فى هذه الأثرة منفعة للمجتمع أو الوطن لهان الأمر وهبنى ارتضيت بك، فسأعيش بجانبك يعذبنى شبح الشك القاتل، فأتوقع دائما خيانتك وغدرك وهجرك، وقد أتصور أحيانا أنك حننت الى امرأتك الأولى وأنك عدت اليها خلسة، وقد يستبد بى الوهم فأتخيل أنك مللتنى كما مللتها وأفسر كل سكون لك بالجمود وكل ألم طارىء بالجمود وكلما تأخرت خارج دارى لعب الشك بخاطري، من السهل يا أخى أن أحقق رغبتى - لكن من يضمن لى سعادة هذه المرأة المنكوبة؟ من يكفل لى مستقبلها الهنىء؟ لو أنها كانت تكرهك، لهان على المصاب فقد يكون هناك من تحبه ويحبها ويترقب تحريرها ليتزوجها ولكنها تحبك، تحبك حبا عنيفا أكثر من حبك لك بلا ريب. ومن أجل هذا الحب تغار عليك ولو أنها كانت فطنة وخبيرة بقلوب الرجال لعرفت كيف تقيدك بجوارها الى الأبد...

أليس الأصوب أن تعتمد على أخوتى لتصون كرامتى وتحتفظ بحنانى لترعى حرمتها وبذلك تكسبنا معا فلا تفقد زوجة قد يكون من الخير استبقاؤها؟

هنا بلغ الأسى من قلب الرجل أعمق مكان فيه فقال:

وما السبيل اذن ولا حياة لى بدونك؟

ثم أخرسته اللوعة فأخفى وجهه بيديه ليخفى مدامعه...

أى امرأة مهما يبلغ بها الجحود لا تتأثر بذلك المشهد المروع؟!

أى امرأة لا تجاوب هذه الدموع بالدموع!

أى امرأة لا تخضع لهذا الحب بالخشوع!

تألمت وبكت، وحاولت أن تخفف عنه فلم تتمكن لأن لوعتها أخرست لسانها وحبست أشجانها فآثرت أن تتركه قبل أن تخور قواها وتخضع لمشيئته وتحولت عنه متأهبة للخروج

قال فى توسل:

يجب أن أقرر مصيرى أمامك: الموت أو الحياة

ولمحت بوادر التنفيذ والعزم بادية عليه فخافت وانتفضت كعصفور جريح وغمغمت:

ستحيا.. ويجب أن تعيش!

وتركته وخرجت مسرعة قبل أن يتمكن من استبقائها فارتاح الرجل الى قولها وفسره بالرضا وأنها باقية عليه فاطمأن وشعر باحساس منعش يرتاد جنبات نفسه وقضى ليلته يشعر بشعور السجين الذى أطلق سراحه فلم ينم طوال الليل وراح يفكر فى مصيره السعيد المقبل ويرسم بخواطره صور الحياة المرتقبة، الحياة العامرة بأطايب الوجود،

والمليئة بمفاتن المباهج والمسرات حتى بدا الأمل على وجهه مشرقا بساما فراح يغني أنشودة الفرح، شاعرا بأن الوجود يبتسم له فانتشى متخيلا أن كل ما يحيط به يشاطره مسرته وسعادته

ولأول مرة، رأت زوجه علائم البشر ترفرف كالنور الهفهاف على المنزل

فابتسمت واقتربت من زوجها تفتح له صدرها وتناغيه بقلبها...

ولم يشأ أن يشوه جمال السرور فشاطرها المناجاة والدعابة، وكان ذلك اليوم الوحيد الذى شعرت فيه بدفء حنانه فاقتربت منه صافية تسامره وتداعبه وتضاحكه وبودها لو تمر عجلات الأيام سراعا ويظل هكذا بجوارها... وتعمد بدوره أن يمنحها كل ما ترجوه كريما، لقاء أمله المحقق أو لعله شاء أن يضفى شعوره السعيد على كل ما حوله

وبكت المرأة طربا متمتمة:

آه لو كنت دائما هكذا تمنحنى من نفسك هذه المسرة وذاك الرضا اذن لكنت أسعد امرأة

ولم تدر المسكينة أنه يمنحها زكاة السعادة التى يحلم بها

وطلع النهار فاذا بالشروق يبدو فى ناظريه جديدا جميلا رائعا يحمل معه أضواء الأحلام والآمال

وخرج الى المدينة يمر بالمساكن والمتاجر ليختار لها سكنا جديرا بها ورياشا يليق بمكانتها عنده ليعبر عن مبلغ حبه وأعزازه، وهيأ كل

شيء.

ولم يبق أمامه غير تنفيذ الخلاص من زوجه... يريد أن يخلصها بأقصى سرعة ولقد دفع لها ثمن آلامها بما أسبغه عليها من سعادة ومتعة فى آخر ليلة

اذن لن تشك فيه عندما يطلب منها السفر الى أهلها لقضاء بضعة أيام هناك...

ودخل عليها يتكلف الغيظ والهم وأخبرها أنه انتدب فى الصعيد لمدة شهر بدل موظف مريض وعليها أن تذهب لأهلها بدل أن تمكث وحدها حتى يعود...

وتألمت المرأة وأظهرت له استعدادها لمصاحبته أينما يذهب ولكنه أقنعها بضرورة السفر إلى أهلها...

وسافرت غصبا كارهة متألمة وطلبت منه فى رجاء حار واخلاص أكيد أن يطمئنها عليه من حين إلى حين وراحت تقدم له النصائح بضرورة العناية بنفسه وصحته

وافترقا على أمل أن يلتقيا بعد شهر

... ...

وما كاد يخلو بنفسه ويشعر بخلو المدينة من زوجه حتى تنفس الصعداء وأحس أن كابوسا رفع من على كاهله بعد أن أثقله حمله بعض السنين

وبعث الى فتاته يطلب منها تحديد ميعاد للقائه وفى نيته أن يفاجئها بما أعده لها من أسباب الراحة والطمأنينة

وانتظر جوابها فلم تفعل، وظن أنها ستفاجئه بحضورها فلم تحضر أيضا...

وعاد يكتب وانتظر أياما فلم تجب!

ومرت الأيام فى طى الأسابيع وهو يحاول لقاءها فى الأمكنة التى ترتادها فلم يتمكن من رؤياها...

وعاد الرجل الى هلعه وقلقه وراح ينتظر مصيره المحتوم فى جزع وألم...

وعلى غير ارتقاب جاءته رسالة من صديقة لها تخبره بأن فتاته معلولة وأن الأطباء حتموا عليها ضرورة الذهاب الى مصحة حلوان

ولكن شقيقها صعب عليه أن يتركها وحيدة فصحبها معه الى أقاصى الصعيد معتمدا على الله وعلى شمس هذه البلاد الشافية...

كل شيء تضاءل أمام ناظريه الا صورتها الواضحة المشرقة أنها مع شقيقها تحت رقابته... اذن فلن يتمكن من مراسلتها بدليل أنها كلفت صديقة لها...

أنها تحبه بلا ريب...

وحيال هذا الخاطر الذى تصوره راح يعيش مع أمله الذى يبعث الطمأنينة فى نفسه، فيتخيلها عوفيت، وعادت اليه ثم يتصورها زوجة حبيبة ساهرة عليه تعيش معه وتحت ناظريه

ولم يفكر مطلقا فى غدرها اذ كانت صورتها الباهرة وحيويتها البارزة أقرب الأشياء الى قلبه

وظل وحيدا يقضى نهاره متشاغلا بعمله وليله يناجى خيالها ويتعزى بقدرة شبابها على مغالبة ذلك المرض الفتاك

أن صديقتها لم تقل فى أى بلد هى... ولم تعد تكتب اليه... ويحاول أن يستشف أخبارها من عارفيها فلا يهتدى يقولون سافرت... ولكنهم لا يعلمون من أمرها شيئا... ما أشبه قلقه على الرغم من الأمل الذى يلازمه

وفى صباح يوم ماطر كان يناجى خيالها فى غرفته جاءته رسالة من صديقتها

عرف خط الصديقة فارتعشت أنامله واضطرب وغمغم... عله بشير اللقاء... ولكن لماذا لم تكتب هى... وشعر باحساس مبهم يحز فى نفسه فتوجس خيفة وارتجفت أنامله وهو يقرأ الخطاب:

ماتت الفتاة...

سقطت الزهرة الناضرة من على الغصن قبل أن تكتمل ذهب أمله الوضاء، وتلاشى حلمه الباسم.

مات قلبه الخافق وهدأ روحه الطائر

ماتت فتاته معقد آماله وباعث نعيمه ومرفأ حياته

بكى بقدر حبه وولهه وصح عزمه على أن يعيش راهبا…

لقد ذهبت زوجه الأولى لغير رجعة، ولم يعد يطمع فى أن يتقرب الى أى امرأة أو يعاشر أى امرأة… لقد أجفل قلبه ولم يعد يحن للنساء…

وقضى وحيدا بعض أعوام وقد شاب رأسه من فرط همه وحزنه حتى اضطر تحت تأثير رجاء الأصدقاء أن يتأسى ثم يتناسى…

وعاوده حنينه الى المرأة ولكن أية امرأة ترضيه؟ لم يعد يشتهيها ولكنه بريدها خادمة تسهر على راحته بعد أن بلغ من الكبر عتيا… فأى امرأة ترضى برجل محطم حيث ولى شبابه ووهنت قواه وخبا نور بصره… وهو ليس من الثراء بمكان حتى يغرى المرأة بماله فتنسى الشباب والقوة والحياة بالمال الطائل…

وبدأ يتعذب من جديد ويأسف على عمر مضى فى خدمة الحب الضائع…

وتذكر زوجه الأولى… أن ابنه البكر يلح عليه من حين الى حين لكى برد أمه الى بيته ليعود الى الأسرة طمأنينتها وهدوؤها… وقد أبت الزوجة أن تجنح الى زوج آخر

ولقد كان الى الأمس القريب يرفض الوالد رجاء الابن ولا يسمح له بالتحدث فى هذا الشأن

أما اليوم فانه لا يرى غضاضة فى اعادتها لأنه فى حاجة الى رعايتها

ولقد قضت المسكينة هذه الأعوام الطوال ساهرة على تربية أولادها حريصة على الوفاء له··· فما أحراها اليوم بتبديد يأسها وحزنها فى أواخر أيامه لكى يموت مطمئن الضمير، على الأقل···

وجاءه ابنه البكر كعادته فترك الأب له حرية الكلام وتمنى لو يعرض عليه رد أمه ليقبل رجاءه فورا ولكن الابن لم يتحدث فى هذا الشأن بل بدأ والده بقوله:

أبى··· هأنذا أقوم بشئون حياتى وحياة أمى وأخوتى وحدى راضيا سعيدا اذ أخفف عنك عبء الحياة التى عانيت فى سبيلها شتى المتاعب من أجلنا

ولم يعد ينقصنى فى الحياة سوى قلب أستمد منه القوة وروح أستعين بها على صد نكبات الدنيا

فهز الرجل رأسه وقد أطل شبابه الذاوى من وراء ستار الغيب يبتسم ابتسامة عريضة ويذكره بأيامه الخوالى وغمغم:

جميل أن يكون هذا شعورك يا ولدى··· فوضح مشيئتك لأساعدك على تحقيقها

قال الولد:

أريد أن أتزوج

فهلل الوالد وكبر، وقبل ولده قائلا:

وافرحتاه!... هذا منای یا ولدی! ولكن بمن؟

فأجابه على الفور...

بابنة...

الوالد... يفكر مليا،

أنا لا أعرفه...

الولد...

رجل طيب جدا سيعجبك

الوالد –

وهل تعرف الفتاة... أن الزواج مهمة شاقة، فيجب أن يتعاون العقل والعاطفة معا

فقال الولد:

أفهم جيدا مهمتى كزوج وأب وفى الواقع لقد حددت مرماى على ضوء عقلى وقلبى، اذ لا أريد أن أخطىء كما أخطأت – هذا اذا اعتقدنا أنك أخطأت فى اختيار

زوجك أعنى أمى... لأنك تزوجتها تحت تأثير رغبة أهلك ودون أن يألفها قلبك من قبل!

الوالد:

معك الحق يا ولدى! فعلام عولت؟

الولد:

تحضر معى لمقابلة والدها ولكى ترى العروس

الوالد: ضاحكا...

مادمت معجبا بها فهى تعجبنى...

ثم صمت مليا مفكرا وعقب:

أنا أعرف أنك عاقل ولست فى حاجة الى أن أنبهك الى الأخطاء الشائعة فى هذا العصر كأن يعجب الشاب بفتاة فيظن أنه أحبها فيتزوج بها دون أن يتأكد من حقيقة ميولها فاذا جد الجد وطالبت الحقيقة بنصيبها منك ومنها، تمخض الواقع عن أكذوبة هائلة وخدعة مخزية، وفشل على طول الطريق

ونصيحتى لك يا ولدى أن تنظر اليها بعيني قلبك على نور عقلك، فاذا تأكدت من أنها تصلح أن تكون ملكة اذا

توجك القدر، أو تبادلك الحرمان بالحب اذا عاداك الدهر
قانعة بالقليل اذا حرمتك الدنيا أطايب الوجود... تزوجها

فقال الولد:

سترى أنها أعظم من ذلك يا أبى! فهل تسمح بمصاحبتى
الآن لنقابل والدها، لأننا على موعد

وبعد ساعات كان كل شيء انتهى حسب رغبة الولد وبدا العريس يهنىء نفسه وأهل العروس يتأهبون لاعداد مراسم القران

... ...

ثم عقد القران ولم يحاول الوالد أن يتدخل فى شئون ولده الخاصة ليكون وحده المسئول أمام نفسه عن نتيجة هذا الزواج الذى يتمنى أن يكون التوفيق حليفه.

ولما استقر بهما المقام فى بيت العروس دخلت أمها لتهنئ والد العريس

ورفع الوالد الشيخ نظره ليحيى أم العروس وقد أجفل عندما سمع صوتها الذى رده الى الماضى البعيد... صعق وحملق فيها وهو كالمشدوه وقد ارتعشت أطرافه وتقلصت يده الى حد الجمود حتى صعب على الأم أن تسحب يدها من يده...

كانت باسمة هادئة تنظر اليه فى اطمئنان وهو كالصنم الأخرس... ظل أمامها محملقا لا يقوى على الكلام

وأخيرا تمتم بصوت مرتعش،

أيمكن هذا؟

لقد تغير الزمن وشاب، وهى شابة ناضرة المحيا وثابة الروح كما عرفها ثم رفع بصره اليها ليقول بصوت مرتجف.

حضرتك حماة ولدى

قالت ببسمتها التى كانت تفتح له آفاق الغيب السعيد،

أجل (سخاء)...

وجلست بجانبه لتبدى اعجابها وحبها لولده فعاد يغمغم والدهشة تبتلع بعض ألفاظه،

أترای فی حلم؟ أم ترای كنت ميتا ثم بعثت اليوم من جديد؟...

فقالت بهدوئها الساحر:

قد يميتنا اليأس كل يوم والأمل يحيينا من جديد؟... ان الأرواح لا تموت أبدا... أبدا

قال:

هذا لا شك فيه... انما قولى، لا تشيب أبدا... فهل ترين روحى شابة كروحك...

فضحكت وهى تقول:

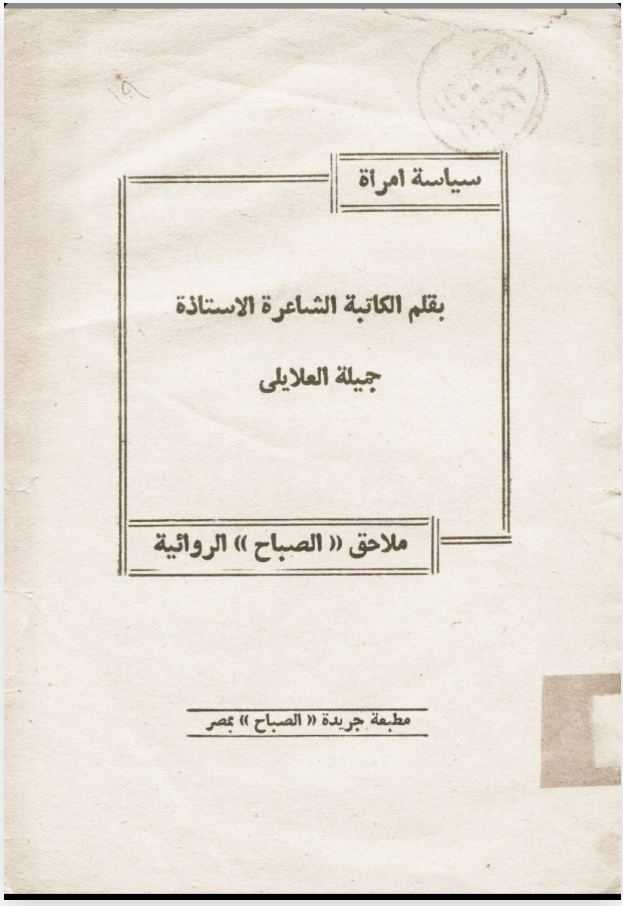
انها فى عينى كذلك...

ودخلت أم العريس... لتعانق أم العروس مهنئة... وبعد عقد قران العروسين... ساءل والد العريس نفسه أتراها... لم تزل تحبنى... ورفع رأسه ليسأل عينيها؟ فاذا بها تتأمل ابنتها وعريسها فى شغف وحب وسعادة... بينما تصافح أم العريس قائلة:

يجب أن يكون فرح ولدينا فاتحة لعودتك الى زوجك فعاونينى على ذلك...

وهنا كان والد العريس يستمع الى همساتها فلم يكد يسمع ذلك حتى انتابته نوبة القلب التى كانت تواتيه من حين الى حين ووقع على الأرض...

وعندما جاء الطبيب وجده جثة هامدة...



الغلاف الأصلي ١٩٤٣